المحاضرة الرابعة عشر: دور السمعي البصري في ترقية أدب الطفل

أولًا: مدخل

شهدت العقود الأخيرة ثورة تكنولوجية هائلة جعلت الصورة والصوت وسيلتين مركزيتين في تلقي المعرفة والتعبير الفني، ولم يكن أدب الطفل بمعزل عن هذا التحول، إذ أصبحت الوسائط السمعية البصرية – مثل الرسوم المتحركة، البرامج التعليمية، القصص المسموعة، المسرحيات الإذاعية، الألعاب الرقمية، والقصص المصوّرة – جزءًا من البيئة الثقافية التي تشكّل وعي الطفل وذائقته الأدبية.

لقد انتقل أدب الطفل من الكلمة المقروءة إلى النص المتعدد الوسائط (Multimedia Text)، الذي يجمع بين الكلمة، والصورة، والصوت، والحركة، مما أوجد ما يمكن تسميته بـ الأدب السمعي البصري التربوي.

ثانيًا: مفهوم الوسائط السمعية البصرية

الوسائط السمعية البصرية هي كل وسيلة تجمع بين العنصرين السمعي (الصوت والموسيقى والكلام) والعنصر البصري (الصورة الثابتة أو المتحركة) في عملية التواصل والتعبير، وتتنوّع هذه الوسائط من التلفزيون والسينما إلى الفيديوهات الرقمية، والرسوم المتحركة، وتطبيقات القصة المصوّرة، والألعاب التعليمية، وفي سياق ترقية أدب الطفل، تُستخدم هذه الوسائط كوسائل:

- ✓ لتبسيط النصوص الأدبية.
- ✓ لإثارة الخيال وتنمية الحس الجمالي.
- ✓ لتقريب القيم الأخلاقية والإنسانية بطريقة مؤثرة.

ثالثًا: العلاقة بين أدب الطفل والوسيط السمعي البصري

يُعَدّ أدب الطفل أحد الميادين الأكثر تأثرًا بالإبداع السمعي البصري، لأن هذا الوسيط يتوافق مع طبيعة الطفل الإدراكية، التي تميل إلى الصورة والحركة والأصوات قبل الحروف والكلمات، فالطفل يتفاعل أولًا مع الصورة ثم مع اللغة، مما يجعل الوسيط السمعي البصري بوابة فعّالة لتربية الذوق الأدبي والخيال الفني.

رابعًا: أدوار الوسائط السمعية البصرية في ترقية أدب الطفل

1.التيسير والفهم

الوسائط السمعية البصرية تساعد الطفل على فهم النصوص الأدبية من خلال الصورة المرافقة للصوت، مما يزيل الغموض ويجعل المعاني أقرب إلى خياله، مثال: عند عرض قصة "الأرنب والسلحفاة" برسوم متحركة، يصبح المغزى (أن المثابرة تفوق السرعة) واضحًا من خلال المشهد البصري أكثر من النص المكتوب وحده.

2.تحفيز الخيال والإبداع

الصورة المتحركة والأصوات الموسيقية تُثير خيال الطفل وتدفعه إلى إعادة تخيّل القصة أو ابتكار نهايات جديدة، مثال: بعد مشاهدة فيلم "الأسد الملك (The Lion King)" قد يحاول الطفل كتابة قصة عن شجاعة حيوان آخر، مستلهمًا القيم نفسها.

3.تنمية الذوق الأدبي

عبر تذوق القصص المسموعة والمشاهد التمثيلية، يتعلم الطفل النغمة، الإيقاع، التعبير العاطفي، والحوار الأدبي، فالاستماع إلى الحكايات المروية بصوت جذاب، أو إلى الشعر المغنّى، يرسّخ الحس الجمالي واللغوي لديه.

4.غرس القيم الاجتماعية والإنسانية

الوسائط السمعية البصرية تحمل رسائل تربوية ضمنية: عن الصدق، والتعاون، والمثابرة، والاحترام، ومن خلال المشاهدة، يتماهى الطفل مع الشخصيات ويكتسب سلوكيات إيجابية.
مثال: مسلسل "عدنان ولينا" زرع في الأطفال قيم الصداقة والذكاء وحبّ الخير.

5.تعليم اللغة وتنمية المفردات

البرامج السمعية البصرية، خصوصًا القصص المسموعة والمترجمة بصريًا، تُسهم في توسيع قاموس الطفل اللغوي وتحسين نطقه، فهو يربط الكلمة بالصورة والمعنى في ذاكرته الحسية.

6.تعزيز المشاركة والتفاعل

في العصر الرقمي، أصبح الطفل قادرًا على التفاعل مع النص الأدبي عبر الوسائط التفاعلية: كأن يختار النهاية أو يجيب عن أسئلة أثناء عرض القصة، وهذا الأسلوب يجعل الأدب تجربة نشطة تعليمية – وجدانية – جمالية.

خامسًا: مظاهر الأدب السمعي البصري في حياة الطفل

.1**القصة المصوّرة(Story Animation)** : هي الشكل الأكثر شيوعًا، وتُقدَّم عبر التلفزيون أو المنصات الرقمية، تمزج بين السرد والحركة والموسيقى، وتقدّم القيم بشكل رمزي بسيط، مثال: "افتح يا سمسم" – برنامج تعليمي قصصي عربي جمع بين التمثيل والغناء والحوار.

.2**القصص المسموعة(Audiobooks)** : هي تسجيلات صوتية تُقرأ فيها القصص بأسلوب درامي مع مؤثرات صوتية، مثال: منصات مثل "القارئ الصغير" أو "قصص بالعربية للأطفال"، حيث يُستمع الطفل للحكاية قبل النوم، مما يُنمّي الخيال اللغوي.

.3**الأفلام والرسوم المتحركة:** تُعد وسيلة مركزية لتجسيد الأدب في صور ملموسة، مثلاً: تحويل قصة "علاء الدين" أو "سندريلا" إلى فيلم يجعل النص الأدبي أكثر قربًا من عالم الطفل، ويُرسّخ رسائله الأخلاقية.

.4**المسرح المدرسي المصوَّر:** مسرحيات مصوّرة أو إذاعية موجهة للأطفال تُنمّي القدرة على الحوار، وتمزج بين الأدب والتمثيل، مثال: عروض "مسرح الطفل" التي تقدمها القنوات التعليمية في الجزائر ومصر.

.5**الألعاب التعليمية ذات الطابع الأدبي**

هي قصص تفاعلية رقمية تحتوي على مراحل سردية، يُشارك الطفل في بنائها عبر التفاعل، مثال: لعبة "حكايات الأصدقاء" التي تقدم مغامرات سردية تعليمية تزرع القيم.

سادسًا: الأبعاد التربوية والجمالية للوسائط السمعية البصرية

البعد التربوي:

- ✓ توجيه الطفل نحو القيم الإيجابية.
- ✓ تعزيز مهارات التواصل والتعاون.
- ✓ غرس حب القراءة عبر الصورة والصوت.

البعد الجمالي:

- ✓ تعريف الطفل بجماليات اللغة والفن التشكيلي والموسيقى.
- ✓ إثراء الحسّ البصري والخيال الفني.

- ✓ تعويده على تذوق الإبداع بمختلف وسائطه.

البعد النفسي:

- ✓ مساعدة الطفل على التعبير عن مشاعره وتفريغ توتراته عبر التخييل والمشاهدة.
- ✓ بناء شخصية متوازنة قادرة على التفاعل مع الآخرين.

سابعًا: حدود وتحديات الاستخدام السمعي البصري

رغم فوائده، لا يخلو الأدب السمعي البصري من تحديات تربوية وثقافية، منها:

- ✓ التلقي السلبي: قد يتحول الطفل إلى متلقٍّ غير مشارك إن طغى الجانب الترفيهي على التربوي.
- ✓ الإفراط في المشاهدة: يؤدي إلى ضعف التركيز وقلة القراءة الورقية.
- ✓ الاستيراد الثقافي: أغلب المواد البصرية مستوردة ولا تعبّر عن الثقافة العربية الأصيلة.
- ✓ ضعف الرقابة: بعض المضامين قد تحتوي على عنف أو قيم غريبة عن بيئتنا.

الحل: إنتاج أعمال سمعية بصرية محلية عربية تراعي الخصوصية الثقافية وتوازن بين المتعة والتربية.

ثامنا: الخاتمة

إن الوسائط السمعية البصرية لم تعد مجرد أدوات مساعدة في تعليم الأطفال، بل أصبحت فضاءً إبداعيًا موازياً للأدب المكتوب، يساهم في تكوين الذوق الفني والمعرفي للطفل، وفي بناء خياله وشخصيته، ولذلك فإن دمج السمعي البصري في تربية أدب الطفل يُعدّ ضرورة تربوية وثقافية، شرط أن يتم ذلك بوعيٍ فني وتربوي يوازن بين المتعة والتعليم، وبين الجمال والفائدة.